الأرثوذكسية الخلقيدونية وغير الأرثوذكسية غير الخلقيدونية

نقولا مارينيدس

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

قد يجفّل عنوان هذا المقال الكثيرين الذين يفترضون أن اتحاد الأرثوذكس مع غير الخلقيدونيين (الكنائس التاريخية القبطية والإثيوبية والإريترية والغرب-سورية (السريانية / اليعقوبية) والأرمنية والهندية (مالانكارا) بات وشيكًا. يرجع هذا الافتراض إلى أن العديد من الأرثوذكسين الناطقين بالإنجليزية (والأنطاكيين بكافة لغاتهم أيضاً - المترجم) يجهلون النقد الذي خضع له الحوارَ بين الأرثوذكس وغير الخلقيدونيين على يد لاهوتيين أرثوذكس بارزين في البلدان الأخرى. هذا الجهل ليس خطأ المؤمنين والكهنة البسطاء الذين تلقّوا فكرة الوحدة بين الإخوة المنفصلين منذ زمن بعيد بفرح صادق وبريء. يرجع هذا الجهل إلى ندرة الأصوات الناقدة في الغرب (أي خارج أراضي الأرثوذكسية التقليدية) وخاصة في العالم الناطق باللغة الإنجليزية. سأحاول فيما يلي أن اساهم بجزء صغير من علاج هذا "التعتيم الإعلامي"، كما أسماه عالم اللاهوت الأرثوذكسي الفرنسي جان كلود لارشيه [١]. بالطبع لن أتمكن من تغطية كل شيء، لكنني آمل أن تكون مقالتي بمثابة دعوة لليقظة وحافزًا لمزيد من التحقيق من جانب القراء (وهذا ما يتمناه المترجم أيضاً - المترجم).

تاريخ موجز للحوار

بدأ الحوار بين الأرثوذكس وغير الخلقيدونيين [٢] بأربع استشارات غير رسمية في آرهوس (١٩٦٤)، بريستول (١٩٦٧)، جنيف (١٩٧٠)، وأديس أبابا (١٩٧١). حضر كبار اللاهوتيين من الجانبين ومن بينهم الآباء جورج فلوروفسكي، جون مايندورف، ويوحنا رومانيدس، بالإضافة إلى البروفيسور يوحنا كرميريس من الجانب الأرثوذكسي، والأسقف بول فيرغيزي والأب في. سي. صموئيل عن الجانب غير الخلقيدوني. تلا ذلك حوار رسمي بدأ في أواخر السبعينيات وبلغ ذروته في بيانين مشترَكين في عامي ١٩٨٩ و ١٩٩٠. ثم قُدِّم البيانان إلى الكنائس المحلية المعنية من الجانبين للموافقة عليها كأساس لاهوتي كافٍ لاستعادة الوحدة؛ كانت النية أن التفاصيل المعقدة لعملية الوحدة الفعلية توضَع في اجتماعات لاحقة، كما على المستوى المحلي. تم الجزم بأن أساس الاتحاد هو الاعتراف باللاهوت الآخر على أنه أرثوذكسي، على الرغم من الاختلافات في المصطلحات، والاتفاق على أن كلا الجانبين يمكن أن يحتفظ بتعداده للمجامع والقديسين والتقاليد المحلية.

يبدو أنه لم تُعقَد أي اجتماعات رسمية بعد العام ١٩٩٨، ربما بسبب الجدل الذي أثارته البيانات المشترَكة، لدى الجانبين، ولكن بشكل خاص عند الأرثوذكس. بعض المقاومات كانت أكثر صمتاً وسلبية من الأخرى. مثال على ذلك تجميد الكنيسة الأرثوذكسية الروسية للبيانين المشتركين لمزيد من الدراسة. لكن بعض المقاومات كان أكثر نشاطاً وصخباً، كالبيان الذي أصدره جماعة رهبان جبل أثوس اعتراضاً على خطط الوحدة على أساس البيانات المشتركة [٣]. وقد تمّ دعم هذا البيان بسلسلة من الكتابات من دير القديس غريغوريو الأثوسي،

برئاسة الطيب الذكر الأرشمندريت جورج كابسانيس. لكن الاحتجاج لم يقتصر على الدوائر الرهبانية. فقد اعترض بعض اللاهوتيين الأكاديميين مثل أثناسي يفتيتش (الأسقف السابق لزوما والهرسك والأستاذ الحالي في المدرسة اللاهوتية في بلغراد)[كان أستاذاً في وقت كتابة المقال وقد رقد في آذار ٢٠٢١ من الكورونا - المترجم]، الأب ثيودور زيسيس (أستاذ في جامعة تسالونيكي)، وجان كلود لارشيه المذكور أعلاه، وجميعهم من الأعلام.

من الواضح أنه منذ أوائل التسعينيات جرى حوار معتَبَر ضمن الأرثوذكس حول هذه المسألة. ومع ذلك، يفترض الكثيرون، لا سيما العلمانيون وكهنة الرعايا، كما الأساقفة، أن هذه الوحدة قد تحققت تقريباً. لهذا كان هناك اندفاع لتحقيق ذلك على المستوى العملي. المثال الأكثر فجاجةً على ذلك هو اتفاقية السماح بالمناولة المشتركة في ظل مجموعة واسعة من الظروف، الذي اتخذه مجمع البطريركية الأرثوذكسية في أنطاكية، مع غير الخلقيدونيين في عام ١٩٩١. على الرغم من أن الظاهر هو أن الاتفاقية لم تنفَّذ بالكامل بسبب الخوف من ردود الفعل المحتملة من الكنائس الأرثوذكسية المحلية الأخرى، لكنها خلقت الكثير من الارتباك حول الموقف الأرثوذكسي†. على أي حال، إن المناولة المشتركة غير المصرّح عنها هي أمر شائع جدًا على مستوى الرعايا في الشرق الأوسط والولايات المتحدة. كما أن هناك تعاوناً ثابتاً في المجالات العملية كالتعليم، سواء في المعاهد الدينية أو في المجموعات الشبابية. كان لهذا بعض الآثار المفيدة في مساعدة غير الخلقيدونيين على إعادة اكتشاف التقليد الآبائي، سواء في جذوره ما قبل الخلقيدونية أو ثماره الخلقيدونية. بشكل عام، إعادة الاكتشاف هذه جرت في جو ثقافة الحَرَم الجامعي النسبوية (أقله في المعاهد الأمريكية) التي فعلياً تقبل غير الخلقيدونيين كأرثوذكس بالكامل.

إن الحماس للوحدة أمر مفهوم بالتأكيد. في حالة غير الخلقيدونيين، يأتي الشعور بها بقوة خاصة من التشابه الواضح في الليتورجيا والنسك. أي شخص يقضي وقتًا في الكنائس والأديرة غير الخلقيدونية (كما فعلتُ في الولايات المتحدة ودمشق والقدس ووادي النطرون، اسكيتيا القديمة، في مصر) لا يسعه إلا أن يقدّر جمال العبادة وجدية الالتزام الموجود هناك. غالباً ما تؤدي مثل هذه الملاحظات إلى تصوّر أن الأرثوذكس هم في الواقع أقرب بكثير إلى غير الخلقيدونيين، على الرغم من رفضهم للاهوت الخلقيدوني، من قربهم من الكنائس الخلقيدونية الأخرى كالكاثوليك الذين تتوافق خريستولوجيتهم رسميًا مع العقيدة الأرثوذكسية، ولكن غالبًا ما تعطي ليتورجياهم وروحانيتهم شعوراً بالغربة. إن الشعور بالألفة والتعاطف يتعزز بوجود كثافة مشتركة بين الأرثوذكس وغير الخلقيدونيين في الشرق الأوسط، حيث تعرّض كلاهما للقمع تحت الهيمنة السياسية والاجتماعية الإسلامية وهم يواجهون الآن الإبادة على أيدي الجهاديين. عنصر آخر، يجب الاعتراف به، هو افتتان العديد من الأرثوذكس بالكنائس غير الخلقيدونية كتلك الموجودة في إثيوبيا والهند (مالانكارا). وإذا نُظِر إلى الكنيسة الأرثوذكسية على أنها عملياً "بيضاء" بشكل ساحق، فإن وجود المجتمعات القديمة الأصلية والأرثوذكسية المزعومة في إفريقيا وشبه القارة السمراء يعزز بشكل تجريبي ادعاءات الأرثوذكسية بأنها

الكنيسة الجامعة، التي تضم مؤمنين من جميع ما تحت السماء. على رغم من أن هذه الدوافع مفهومة إلا أنها غير كافية ما لم يوجد اتفاق لاهوتي حقيقي.

الاعتراضات المسبقة على نتائج الحوار

لسوء الحظ، فإن الحوار، حتى الآن، قد ورّق (أي غطّى بالورق) على المشاكل الجوهرية بدلاً من معالجتها بصراحة. قبل التطرق إلى بعض القضايا الخريستولوجية المحددة، سوف أذكر بعض الأعلام الحمراء التي يجب رفعها على الفور عند اطلاع أي أرثوذكسي على توصيات إعادة الوحدة.

أولاً، يبدو أن الحوار قد افترض أن الكنيسة الواحدة، المقدسة، الجامعة، الرسولية قد انقسمت بشكل منظور منذ ١٥٠٠ عام. بالنظر إلى الفرضيات المسبَقة في الأرثوذكسية، ينبغي أن يكون هذا الافتراض مقلِقاً. فهو يعني ضمنياً "نظرية الفرع" التي ترى كل الكنائس كأفرع لكنيسة واحدة غير مرئية. لقد رُفضَت نظرية "الفرع" أو "الكنيسة غير المرئية" في النصوص التأسيسية التي حددت المشاركة الأرثوذكسية في الحركة المسكونية (بيانا تورنتو وأوبرلين)، ولكن أيعقَل أنها انزلقت من الباب الخلفي في الحوار مع غير الخلقيدونيين؟ [٤]

ويرتبط الاعتراض الثاني بهذا ارتباطاً وثيقاً. إذا لم يُطلب من غير الخلقيدونيين قبول المجمع المسكوني الرابع (خلقيدونية) والمجامع الثلاثة اللاحقة، ولا قبول الآباء الذين لعب لاهوتهم دوراً رئيسياً في صياغة تحديدات المجامع، ماذا يعني ذلك في ما يتعلق بنظرية المعرفة اللاهوتية الأرثوذكسية، بالنظر إلى أن الأرثوذكسية تؤمن بأنها كنيسة المجامع السبعة والقديسين أمثال سابا المتقدّس ومكسيموس المعترف ويوحنا الدمشقي، الذين تفانوا في معارضتهم لغير الخلقيدونيين في عصرهم؟

في وقت ما، ناقش المشاركون في الحوار بأن هذه الشخصيات (وما يقابلها من آباء اللاهوت غير الخلقيدوني كديوسقوروس وفيلوكسينوس وساويروس) كانوا معميين بدفاعيات وسياسة عصرهم. يُزعم، أو على الأقل ضمنياً، أننا اليوم قادرون على التقرّب من بعضنا البعض بقدر أكبر من المحبة والتفهم لأن تلك العوامل الظرفية قد أزيلت. ولكن هل يمكننا أن نعترف بهذه السهولة بأن مثل هؤلاء القديسين العظماء – أحدهم، القديس مكسيموس كتب المجموعة الرائعة "المئويات الأربع في المحبة" وجسّد مبادئها أثناء اضطهاده على يد سلطات الإمبراطورية من أتباع المشيئة الواحدة- قد منعهم روح عصر الإمبراطورية الرومانية القديمة من فهم إرادة الله والتعبير عنها في مثل هذه المسألة الهامة؟ ألدينا الثقة بالنفس (كي لا نقول الجسارة) للادعاء بأننا نتميّز في فضيلة المحبة أكثر من هؤلاء القديسين؟ وحتى لو أخطأ هذا الأب أو ذاك في بعض الأحيان، وقد حدث في مسار تاريخ الكنيسة، فإن توافقهم المعبّر عنه في نهاية المطاف في عقائد المجامع المسكونية يعتبَر حاسماً وملزماً للمعتقَد الأرثوذكسي.

السجل اللاهوتي باختصار

عندما ننتقل فعلياً إلى سجلّ الكنيسة اللاهوتي حول مواقف غير الخلقيدونيين، تظهر عقبة أمام الوحدة لا يمكن التغلب عليها بما اتُّفق عليه في الحوار. أصحاب الطبيعة الواحدة (الذين يشير إليهم الآباء

بالساويروسيين والذين لا رأس لهم وما إلى ذلك) لم يُدِنهم المجمع المسكوني الرابع الخلقدوني وحده، بل أيضًا جميع المجامع المسكونية اللاحقة، كجزء من دحضهم لمبدأ الطبيعة الواحدة نفسه أو الهرطقات اللاحقة التي نُظِر إليها على أنها نشأت عنه، كالمشيئة الواحدة والحرب على الأيقونات. إن تحديدات المجامع الموجزة إلى حدٍ ما مأخوذة من ومستندة إلى الكتابات الجدلية التفصيلية لأعلام مثل مكسيموس المعترف ويوحنا الدمشقي، اللذين سبق ذكرهما، بالإضافة إلى آخرين أقل شهرة خارج دوائر أصحاب الاختصاص، كمثل يوحنا النحوي (أو القيصري)، ليونتيوس الأورشليمي، ليونتيوس البيزنطي، القديس أناستاسيوس السينائي، وثيودور أبو قرة (وهو أول لاهوتي أرثوذكسي كتب باللغة العربية في أوائل القرن التاسع).

المجامع والآباء اللاحقون ثبّتوا هذه القرارات بشكل روتيني، وبشكل أكثر موثوقية في سينوذيكون الأرثوذكسية الذي حُدد ليُقرأ يوم أحد الأرثوذكسية، مع أنه في كثير من الأحيان لا يُتلى منه سوى مقتطفات موجزة فقط لا تذكر أي هرطقات محددة. لقد كانت هناك بالتأكيد محاولات لاحقة للتقارب والحوار بهدف استعادة الوحدة بين الأرثوذكس وغير الخلقيدونيين (وعلى الأخص مع الأرمن، نذكر منها محاولات القديس فوتيوس في القرن التاسع والتي نجحت في استرجاع جزء كبير من الشعب الأرمني إلى الأرثوذكسية ومن ثم تحت حكم الإمبراطور مانويل كومنينوس في القرن الثاني عشر)، ولكن دائمًا على أساس التقليد المجمعي والآبائي. وقد اتّبع هذا التقليد قديسون جدد مثل نكتاريوس أيينا (أسقف المدن الخمس، وهو بذاته كاتب لاهوتي كبير) والشيخ القديس باييسيوس الآثوسي [٥]. إلى ذلك، على الأقل اثنان من عمالقة اللاهوت الأرثوذكسي في القرن العشرين، وهما جورج فلوروفسكي وديميتري ستانيلوي، من بعد حماس في البداية، أعربا عن قلقهما بشأن الاتجاه الذي كان يسير فيه الحوار [٦].

إن الأساس المعلن لإعادة الوحدة كنتيجة للحوار هو الزعم بأن الانفصال الذي دام ألفًا ونصف لم يكن بسبب الاختلاف الفعلي في الجوهر بين الجانبين، بل بسبب سوء الفهم اللفظي والعناد. يعتمد هذا إلى حد كبير على البحث اللاهوتي الأكاديمي الذي جرى على مدار القرن الماضي أو نحو ذلك. منذ نُشِرَت دراسة جوزيف ليبون "المونوفيزيتية الساويروسية Le Monophysisme sévérien"‡، صار العديد من العلماء يميّزون بين مونوفيزيتية الأرشمندريت أوطيخيوس القسطنطيني المتطرفة (أوطيخيوس أو أوطيخا هو الشخصية الرئيسية التي أدينت في المجمع المسكوني الرابع، في حين أن المدافع عنه ديوسقوروس بطريرك الإسكندرية أُدين رسميًا بسبب التجاوزات الكنسية فقط) ومونوفيزيتية ساويرس الأنطاكي المعتدلة، والتي تتبعها حتى اليوم الكنائس غير الخلقيدونية. هذا التمييز لا يمكن الاعتراض عليه على هذا النحو (وقد اعترف به بالفعل العديد من الآباء). ولكن الزعم الآخر بأن هذه المونوفيزيتية المعتدلة هي لفظية فقط – أي أنها مجرد إخلاص صارم لمصطلحات القديس كيرلس الإسكندري - وبالتالي فهي أرثوذكسية بالجوهر، لم تحرز نفس القبول العام، قد أدّى (هذا الزعم) إلى مصطلح جديد زائغ "Miaphysites" للإشارة إلى غير الخلقيدونيين بطريقة لا يجدون فيها إساءة: من المفترض أن تكون النقطة أنهم يؤمنون بطبيعة واحدة من طبيعتين بعد الاتحاد في المسيح، لا بطبيعة واحدة. واضحة هي البهلوانيات الذهنية التي يتضمنها هذا التبرير للتعبير عن التلطيف.

كنتيجة لهذا الزعم، أي التوافق في الجوهر، أصبحت الاتفاقيات المشتركة الصادرة عن الحوار بمثابة إعادة كتابة حديثة لـ Henoticon، وهو مرسوم الاتحاد الشهير الذي أصدره الإمبراطور زينو في أواخر القرن الخامس والذي حاول كنس خلقيدونية تحت السجادة وأعادة الخريستولوجيا إلى أيام القديس كيرلس، مما خلق وحدة اصطناعية قائمة على الموافقة على الاختلاف. في اتفاقيات اليوم، كما في Henoticon، يتنازل الأرثوذكس أكثر مما يكسبون. غني عن القول إن الحوار حول العقيدة لا ينبغي أن يتمّ كعملية تسوية ومقايضة على أي حال! لقد نجح غير الخلقيدونيين في مقاومة جميع المحاولات لجعل الاعتراف بالمجامع المسكونية من الرابع إلى السابع أمراً إلزامياً، والمشاركون الأرثوذكس لم يَتَحدّوهم بجدية فيما يتعلق باعتراضاتهم على عقائد مثل قوى وإرادتي المسيح وحتى الفهم الأرثوذكسي للتألّه [٧].

هرطقة ساويرس بحسب الآباء (باختصار أيضاً)

أحد الاقتباسات الآبائية التي تُستخدَم وتُستغَل لدعم نتائج الحوار هو قول يوحنا الدمشقي بأن "أتباع الطبيعة الواحدة... هم أرثوذكسيون في كل شيء..." إن هذا الاقتباس يوحي بأن هناك ما هو أكثر مما تراه العين. ما يلي هو المقطع بأكمله مترجَماً[٨] لتقديم ما ينقص: "المصريون، الذين يُطلق عليهم أيضًا اسم المخططين [٩] والمونوفيزيت، انشقوا عن الكنيسة الأرثوذكسية بذريعة كتابة المحضر في خلقيدونية. يشار إليهم بالأقباط لأنهم هم من بدأوا هذا المخطط [١٠] لأول مرة في عهد الأباطرة ماركيان وفالنتينيان، لكنهم أرثوذكسيون في كل شيء آخر. هؤلاء، من منطلق ارتباطهم بديوسقورس الإسكندري، الذي تمّ عزله في مجمع خلقيدونية كنصير لمعتقدات أوطيخا، أصبحوا معادين للمجمع وفي ذلك الوقت قاموا بتوجيه عدد لا يحصى من التهم ضده، وقد رفضناها في وقت سابق في هذا الكتاب، وأظهرنا أن هؤلاء الناس منحرفون وخاويو الرؤوس. لقد كان قادتهم ثيودوسيوس الإسكندري (وعليه هم "ثيودوسيون") ويعقوب السرياني (وعليه هم "يعاقبة"). إن المدافعين والضامنين والمناصرين لهؤلاء هم ساويروس مفسد أنطاكية، والساعي عبثاً يوحنا تابع الثلاثة آلهة (Tritheist) [١١]، الذي ينكر سر الخلاص المشترك. لقد كتبوا أشياء كثيرة ضد التعاليم التي استوحاها من الله الستمائة والثلاثون المجتمعون في خلقيدونية، ووضعوا العديد من العقبات على جانب الطريق لأولئك الذين أفسدهم تحزّبهم، وبشرحهم لحقائق معينة شوّشوا سر التدبير."

بدون هذا الاقتباس، بالكاد يمكن الاستشهاد بيوحنا لدعم النهج المتبع في الحوار [١٢]. من الواضح، بالنسبة له، أن المونوفيزيت هم أرثوذكسيون في كل شيء ما عدا خريستولوجيتهم - وهذا ليس استثناءً بسيطًا، لأنه يقودهم إلى "إنكار سر الخلاص المشترك" [١٣]. يمكن تأكيد ذلك بقراءة بقية أعماله الخريستولوجية. حتى في كتابه "ضد اليعاقبة"، والذي يُستشهد به أحيانًا على أنه يعترف بأرثوذوكسية "إيديولوجية" في العقيدة غير الخلقيدونية بسبب لهجته الأكثر عدوانية، فإنه في الواقع يستخرج كل المضامين الهرطوقية في تعاليم ساويروس وأتباعه.

هذه الظاهرة بالتحديد هي ما يجعل الكثير من الناس غير مرتاحين لأعمال الآباء الدفاعية بشكل عام، وخاصة تلك الموجهة ضد غير الخلقيدونيين. إن التكتيك الجدلي الأكثر شيوعًا لدى الآباء هو الاختزال إلى العبث،

حيث البداية تكون مقدمات خصومهم ومن ثم نقلهم خطوة خطوة إلى استنتاجهم المنطقي، ما يراه الذوق العام المسيحي بغيضاً. في كتابه ضد اليعاقبة، يوضح يوحنا كيف أن رفض قبول طبيعتين في المسيح يمكن أن يؤدي إلى استبعاده من الطبيعة المشتركة للثالوث - وهذه مجرد واحدة من السخافات المحتملة التي يمكن أن تؤدي إليها العقيدة الساويروسية.

يستخدم القديس مكسيموس، في بعض كتاباته، هذه التقنية لإظهار كيف تؤدي خريستولوجيا ساويروس إلى الاعتقاد بالقوة الواحدة (monoenergism) والمشيئة الواحدة (المهمة ليست صعبة جداً لأن ساويروس علّم هذه العقائد علناً) ويستند إلى نفس المقدمات التي قدمها نسطوريوس (وهو أقل وضوحاً، فالنقطة الأساسية هي أنهما ينطلقان من الخلط بين الطبيعة والأقنوم، ثم يستخلصان استنتاجات معاكسة ولكنها على نفس القدر من التجديف). بالنسبة لنا اليوم، المتعلمين الذين يجيدون أشكال مختلفة من الجدل، قد يبدو هذا التكتيك غير عادل، لكن مثل هذا الشعور الغامض لا يمكن أن ينفي حقيقة أنه منطقي تمامًا، ويعود أصله إلى الرياضيات والفلسفة اليونانية القديمة، حيث انتقل إلى عِدّة الجدل الآبائي. لا يمكننا إنكار ذلك دون التخلي عن معظم مؤلفات الآباء الجدلية. وعلينا أن ندرك أن هذه المؤلفات في سياقها المسيحي غايتها مساعدتنا "على قول الحقيقة بمحبة" من خلال إظهار النتائج الخطيرة التي يمكن أن تؤدي إليها المبادئ الأولية التي تبدو حميدة.

عندما يتعلق الأمر بذلك، فإن الخريستولوجيا غير الخلقيدونية، كما يمثلها بشكل بارز ساويروس، تتعثر بسبب إنكارها لكامل حقيقة ومحسوسية طبيعة المسيح البشرية. كتب الأب جورج فلوروفسكي، معبّراً عن الخط الآبائي في الجدل بمصطلحات أكثر قابلية للفهم من قبل الإنسان المعاصر: "لم يستطع أتباع ساويروس التحدث عن إنسانية المسيح على أنها ’طبيعة‘. لقد أنزلوها إلى نظام من السمات، لأن عقيدة ’اتّخاذ‘ البشرية لم تكن قد تطورت بشكل كامل بعد مع المونوفيزيتية إلى فكرة ’الأقنومية البينية‘. تحدث المونوفيزيت عادةً عن إنسانية اللوغوس كتدبير (οἰκονομία). إن اكتشاف آباء مجمع خلقيدونية طعْماً دقيقاً من الدوسيتية الأصلية لم يكن بدون أساس. بالتأكيد هذه ليست دوسيتية الغنوصيين القدماء على الإطلاق، ولا الأبولينارية. ومع ذلك، بالنسبة لأتباع ساويروس، لم يكن ’الإنسان‘ في المسيح بشرياً بالكامل، لأنه لم يكن نشطاً، ولم يكن ’ذا دوافع ذاتية‘. في هذا التأمل، رأت المونوفيزيتية الإنسانَ في المسيح كشيء سلبي تحت تأثير إلهي. يبدو التأله فعلاً أحادياً من أعمال الألوهية من دون مراعاة كافية لتآزر حرية الإنسان التي لا يفترض اتخاذها بأي حال من الأحوال ’ذاتًا ثانية‘" [١٤].

خاتمة

أين يتركنا ذلك؟ بالطبع، لا تهدف الحجج المعروضة أعلاه إلى إنكار الإخلاص الشديد للمسيح عند إخوتنا غير الخلقيدونيين، والذي حافظوا عليه بشجاعة في ظروف مروّعة في الماضي والحاضر. ولا أقصد إنكار الجمال الحقيقي لليتورجيا القديمة والممارسة الرهبانية. إن توضيح العيوب في ميراثهم اللاهوتي لا يعني الاستكبار عليهم انتصارياً، بل دعوتهم إلى دراسة أكثر دقّة للتقاليد المشتركة قبل انشقاقات القرنين الخامس والسادس [

١٥]. تعتمد هذه المحبة القاسية على الأمل في أن يعترفوا بأن "الأصولية الكيريلية" التي ورثوها عن ساويروس ومعلميهم الآخرين ليست، في الواقع، تطوراً أميناً للتقليد القديم، ولا حتى لكيرلس نفسه، لأنها تنكر مصالحته في ٤٣٣ مع يوحنا الأنطاكي لحلّ الانقسام الذي نتج عن مجمع أفسس المثير للجدل عام ٤٣١ (المجمع المسكوني الثالث). هناك مجال لـ "طبيعة واحدة متجسدة للإله الكلمة"، ولكن فقط على أساس تفسير ذلك المصطلح الذي كرّسه الآباء الأرثوذكس في المجمع المسكوني الخامس، في انسجام مع خلقيدونية.

ولا ينبغي بالضرورة إنهاء الحوار. ولكن إذا أريد له أن يستمر بطريقة صادقة ومسؤولة، فيجب استئنافه على أسس جديدة. تحمل النقاشات التي بدأت في الستينيات روحاً جلياً من النوع المشوّش من المسكونية التي كان في ذلك الوقت قد بدأ في السيطرة على الدوائر الأرثوذكسية في مجلس الكنائس العالمي، بدلاً من النوع الصارم فكرياً والصادق لاهوتياً الذي كان رائدَه فلوروفسكي في وقت سابق (من المهم أنه شارك فقط في أول حوار غير رسمي، وقدّم عدداً قليلاً من المساهمات الموجزة، على ما هو مسجل في المحضر). يجب أن نكون واضحين بشأن لاهوتنا الكنسي: الواحدة المقدسة (Una Sancta) - الكنيسة الأرثوذكسية الخلقيدونية - هي عمود الحقيقة وأساسها. يجب أن نكون واضحين بشأن خريستولوجيانا: المجامع المسكونية - السبعة جميعها - هي معيارها الذي لا جدال فيه. يجب أن نكون واضحين في مصطلحاتنا: العبارات الملطّفة مثل "الأرثوذكسية الشرقية" (وهي تمييز لا يمكن ترجمته إلى معظم اللغات الأخرى) تعمل فقط على تعكير صفو العقيدة والتشويش على القطيع الذي يسعى للشرب منها. يجب أن تتوقف شركة المناولة التي تمت الموافقة عليها مجمعياً في أنطاكية وانتشرت ضمناً في أماكن أخرى، على الرغم من مراعاة الصعوبات الرعائية للوضع الحالي في الشرق الأوسط اليوم، حيث التحركات المفاجئة ليست حكيمة. لطالما كان من المبادئ الأساسية للحوار الأرثوذكسي مع غير الأرثوذكس أن تكون الشركة نتيجة اتفاق لاهوتي كامل، وليس وسيلة لخلق الوقائع على الأرض.

على الرغم من أن التعاون الشعبي يجب أن يستمر بين الأرثوذكس وغير الخلقيدونيين بشأن القضايا الملحة مثل تنسيق الجهود الخيرية والسياسية لحل أو على الأقل التخفيف من الظروف المأساوية لأزمات الشرق الأوسط، يجب أن نفكّر بشكل نقدي في ما يزيد عن ذلك من الخطوات نحو استعادة الوحدة. سيتطلب ذلك منا نحن الأرثوذكس مناقشة مكثفة أكثر فيما بيننا، مع الوعي بالآراء النقدية كتلك الموجزة هنا، من أجل إقامة حوار مستقبلي قائم على إجماع أرثوذكسي سليم. لكي تكون هذه المناقشة داخل الأرثوذكسية متبصّرة، نحتاج إلى المزيد من الأدبيات عبر الإنترنت حول جوانب محددة للاعتراضات الأرثوذكسية على خريستولوجيا الطبيعة الواحدة، وخاصة الترجمات الإنجليزية للنصوص الآبائية والدراسات الأكاديمية ذات الصلة. في غضون ذلك، آمل أن أكون قد قدّمت للقراء ما يكفي من المواد للتفكير الجاد.

Source: Nicholas Marinides. Chalcedonian Orthodoxy and Non-Chalcedonian Heterodoxy. Ancient Faith Ministry. April 12, 2016. https://blogs.ancientfaith.com/orthodoxyandheterodoxy/2016/04/12/chalcedonian-orthodoxy-non-chalcedonian-heterodoxy/

[١] المسألة المسيحانيّة: في شأن مشروع اتحاد الكنيسة الأرثوذكسيّة، مشكلات لاهوتية وكنائسانيّة معلّقة. للعلّامة الآبائي جان كلود لارشيه. أوراق ديريّة. كُتَيّب رقم ٧. منشورات عائلة الثالوث القدوس.

[٢] لن أستخدم الاسمين الصحيحَين سياسياً: "الأرثوذكس الشرقيين (Eastern Orthodox)" و "الأرثوذكس المشرقيين (Oriental Orthodox)".

[٣] يمكن الاطلاع على مذكرة الجماعة المقدسة في جبل آثوس (الهيئة التمثيلية الرسمية للأديرة العشرين) باللغة العربية هنا.

[٤] يمكن قراءة نص بيان تورنتو الصادر عن اجتماع اللجنة المركزية لمجلس الكنائس العالمي في عام ١٩٥٠ (الذي صاغه الأب جورج فلوروفسكي) هنا. تعتبر النقاط التالية ذات أهمية خاصة: "(IV.4) تنظر الكنائس الأعضاء في المجلس العالمي في علاقة الكنائس الأخرى بالكنيسة الكاثوليكية المقدسة التي تعتبرها قوانين الإيمان موضوعاً للنظر المتبادل. ومع ذلك، لا تعني العضوية أنه على كل كنيسة أن تعتبر الكنائس الأعضاء الأخرى كنائس بالمعنى الحقيقي والكامل للكلمة". لسوء الحظ، تم إبطال هذا إلى حد ما في الفقرة السابقة، وهو أمر قابل للنقاش (على الأقل) من وجهة نظر أرثوذكسية: "(IV.3) تعترف الكنائس الأعضاء بأن عضوية كنيسة المسيح أكثر شمولاً من عضوية جسد الكنيسة الخاص." يمكن العثور هنا على بيان أوبرلين، الذي تمت صياغته من أجل مؤتمر دراسة الإيمان والنظام في أمريكا الشمالية لعام ١٩٥٧ والذي شارك فيه فلوروفسكي أيضاً.

[٥] ناقش القديس نكتاريوس أسقف المدن الخمس وآيينا هذه المسألة في كتابه عن المجامع المسكونية (Ai οἰκουμενικαὶ σύνοδοι). لخّص ميتروبوليت بريفيزا ونيكوبوليس ميليتيوس وجهات نظر القديس نكتاريوس حول الحوار مع غير الأرثوذكس باليونانية. أيضاً لخّص الأب اسحق عطالله آراء القديس بايسيوس في كتابه عنه.

[٦] موقف الأب ستانيلوي عرضَه ميليتيوس أسقف بيسيديا في «Tό ἔργον τῆς Διορθοδόξου Θεολογικῆς Ἐπιτροπῆς διά τόν διάλογον τῶν Ὀρθοδόξων καί τῶν Ἀρχαίων Ἀνατολικῶν Ἐκκλησιῶν».

[٧] انتقد V.C. Samuel، وهو أحد المشاركين الهنود البارزين في الحوار، صياغةَ القديس يوحنا الدمشقي لعقيدة التألّه، في الفصل الأخير من كتابه (The Council of Chalcedon Re-examined, Madras 1977، repr. Kent، UK 2005). كان البابا القبطي الراحل شنودة الثالث معاديًا جدًا لهذه العقيدة أيضًا: انظر التذييل عند ستيفن ديفيس، Coptic Christology in Practice: Incarnation and Divine Participation in Late Antique and Medieval Egypt (Oxford 2008), 271–78. خصوم شنودة في هذه القضية، رئيس دير مار مقاريوس في وادي النطرون، متى المسكين ورهبانه، تأثروا في لاهوتهم بقراءة الآباء اليونانيين والروس. لقاؤهم مع التقليد الخلقيدوني كان جزءاً من إحياء الحياة الرهبانية والعلمانية الروحية في مصر على مدى العقود الماضية، وهذا مصدر لبعض التفاؤل في مسار اللاهوت غير الخلقيدوني المعاصر، ولكن حتى هذه النقطة لم يؤدِّ إلا إلى الارتباك في ما يتعلق بتقاليدهم بدلاً من النقد والتوضيح.

[٨] الفصل ٨٣ من كتاب يوحنا الدمشقي "الهرطقات".

[٩] يرغب بعض المحررين في تحويل هذه العبارة (Schematics) إلى "Schismatics" أي منشقين، لكن تقليد المخطوطة يدعم القراءة أعلاه.

[١٠] أنظر الحاشية السابقة أعلاه.

[١١] في اليونانية، هذا تورية على اللقب الذي كان يُعرف به يوحنا "Philoponus"، والذي يعني "العامل الجاد" وله دلالة إيجابية؛ يوحنا يسميه "Mataioponus" (العبثي) بدلاً من ذلك.

[١٢] لقد حُرِّف المقطع الذي حرره الأب توماس فيتزجيرالد في المجلد "استعادة الوحدة في الإيمان: الحوار اللاهوتي الأرثوذكسي الشرقي الأرثوذكسي" {Restoring the Unity in Faith: The Orthodox–Oriental Orthodox Theological Dialogue (Brookline, MA: Holy Cross, 2007)}، ص. ٢٠-: إن الذين لم يقبلوا مصطلحات خلقيدونية كانوا مع ذلك أرثوذكسيين في كل شيء" (المقال هنا بالإنكليزية، أنظر حاشية 3).

[١٣] أي الكفارة التي صنعها المسيح لجميع البشر، رهناً باستجابة كل منهم بمحض إرادته.

[١٤] آباء القرن الخامس البيزنطيون، الأعمال الكاملة، المجلد ٨، (Liechtenstein: Büchervertriebsanstalt, 1987).

[١٥] راجع المبدأ المنصوص عليه في بيان تورنتو المذكور أعلاه: "(IV.5) تسلّم الكنائس الأعضاء في المجلس العالمي بعناصر الكنيسة الحقيقية في الكنائس الأخرى. إنها تعتبر أن هذا الاعتراف المتبادل يلزمها بالدخول في حوار جاد مع بعضها البعض على أمل أن تؤدي عناصر الحقيقة هذه إلى الاعتراف بالحقيقة الكاملة وإلى الوحدة على أساس الحقيقة الكاملة".

† الواقع على الأرض في أنطاكية يشير إلى أكثر من ذلك بكثير، ولا يشير إبداً إلى أي خوف أو اعتبار لأي ردة فعل أرثوذكسية غير أنطاكية، خاصةً أن ردة الفعل هذه لم تتخطَّ بعض الاعتراضات في جبل أثوس أو تعليق في مقالة من هنا أو حديث من هناك. الملفت للنظر، والمثير للحساسية في نفس الوقت، كثافة الاحتفالات المشتركة على مستوى البطاركة، خاصة في سوريا بعد الحرب. من الأمثلة على هذه الاحتفالات حضور البطريرك الأرثوذكسي إلى جانب بطريرك السريان في سيامة الأساقفة السريان وقد سلّمهم البطريرك الأرثوذكسي عصي الأساقفة، مع ما لهذا العمل من دلالات، أو وجود البطريرك السرياني في استقبال البطاركة الأرثوذكس في زياراتهم السلامية إلى أنطاكيا، قبل المطارنة الأرثوذكسيين. إن هذا الواقع يدل على حال التشرذم على المستويين الأنطاكي الداخلي والأرثوذكسي العام، حيث أنه لم يسجّل أي اعتراض رسمي ولا حتى تعليق معترض على وسائل التواصل الاجتماعي. وهذه الشركة على مستوى الرؤساء لا بد أن تترجم مناولة مشتركة على مستوى الشعب والرعايا.

‡ Lebon, J (1909). Le monophysisme Sévérien: étude historique, littéraire et théologique sur la résistance monophysite au Concile de Chalcédoine jusqu'à la constitution de l'Église jacobite. J. Van Linthout. Louvain 1909.